

ملاحظات حول تحديد الإشكالية وصياغة الفروض

أحمد زردومي

أستاذ مساعد

معهد علم الاجتماع - جامعة قسنطينة-

لا شك أن البحث العلمي ليس موهبة تتحكم فيه الوراثية. بل هو قدرة مكتسبة، لذلك فالوصول إلى كتابة بحوث جيدة ليس مستحيلا. فلكل صنعة وحرفة سرها الذي لا يمكن الكشف عنه واكتسابه، إلا بعد طول معانات من الإطلاع الواسع والصبر... ولا يقدر على ذلك إلا القلة القليلة التي تتحمل معانات الطريق الشاق.

إن اختيار موضوع بحث بمثابة إمتحان، وهذا الإمتحان مدته طويلة قد تستغرق الإجابة عنه سنة أو أكثر لوضع إجابة سليمة لموضوع الإمتحان آخذين في الاعتبار الإبتعاد عن الإرتجال و التناقض.

إن تحديد الإشكالية وصياغة فروضها ليست عملية سهلة، بل تحتاج إلى وقت طويل نسبيا يصل ويجول الباحث في ثنايا الفكر والنظريات والتراث السوسيولوجي القديم والحديث. كما يحتاج إلى التأمل وفحص الواقع الميداني، ومن ثم فلا بد على كل باحث أن يضع في حساباته جملة من العوامل قبل اختيار الموضوع وتحديد الإشكالية وصياغة الفروض.

وعلى كل فإن مساهمتي هذه سوف تركز على ما يلي:

- العوامل الأساسية الممهدة لتحديد الإشكالية.

- ملاحظات حول تحديد الإشكالية.

- ملاحظات حول صياغة الفروض.

- الخاتمة.

العوامل الأساسية للمهبة قبل تحديد الإشكالية

1- توفر فكرة الحافز العلمي والعملية معا:

بداية سأتوقف عند حالة سمعتها ذات مرة ونحن مجتمعين في اللجنة التربوية للمعهد. سأل طالب مدير المعهد قائلا: مالفائدة من مذكرات التخرج المتواجدة في قاعة الوثائق وفي المكتبات الجامعية؟ وكان هذا السؤال استفزازي لكنه يعبر عن اليأس. فكيف نحول اليأس إلى الحافز الذي يدفع طلبتنا إلى إتقان العمل والبحث؟

أعتقد أن الحافز قد يكون ماديا أو معنويا ولكنه في هذه المرحلة لا يكون ماديا بقدر ما كون معنويا أولا:

- الحصول على شهادة معترف بها في الداخل والخارج.

- محاولة تدريب الطالب على البحوث وخاصة الميدانية منها.

- إشباع الرغبات وبعض الميول العلمية للطالب.

- إكتساب الإحترام والسمعة والشهرة وهي أمور لا تورث بل تكتسب.

- يمكن نشر البحث بعد نجاحه في الصحف أو في المجلات المتخصصة أو المشاركة به في بعض المسابقات بالنسبة للطلبة الجامعيين كما هو في الجامعات الليبية وغيرها حيث تفتح سنويا مسابقات للطلبة العرب في جميع التخصصات والتفوق يكافىء بمكافأة مالية معتبرة.

2- التعود على القراءة قبل الكتابة وقبل المناقشة:

مما لا جدال فيه أن القراءة بجميع أنواعها تقوم فعلا بغرس المعرفة المختلفة فهي الأستاذ الدائم معنا والجامعة الخفية كما يسميها البعض (1) لذلك لا بد من الجهد الكبير لإكتساب عادة القراءة لأنها تزودنا يوميا بمعارف، وتجعلنا نطلع على الكتب وعلى البحوث التي تبدو متصلة بموضوع البحث.

كما أن الإطلاع على الدوريات المتخصصة الجديدة والمعاجم المتخصصة غالباً ما يوحى ببعض المتغيرات الهامة وينمي مواقف يرغب في دراساتها. كما أنه يزود الطالب بمعلومات توصله إلى مستوى معين من التفكير السليم، وتعلمه التمييز بين المفيد والضار وبين الصواب والخطأ. كما يتمكن بواسطتها من التحكم في عمليات التحليل والإستنتاج والتأويل والنقد والمعارضة إلى غير ذلك من الأنواع.

3- محاولة التحكم في اللغة عامة واللغة السوسiolوجية المتخصصة خاصة:

إن اللغة تلعب دوراً رئيسياً في البحث لأنها تساعد على تمييز الأفكار بعضها عن بعض. كما أنها ترسم خطوطاً وحدوداً واضحة بين الأفكار والمفاهيم. فالمفهوم الواحد قد يفسره باحث تفسيراً لا يتماشى مع باحث آخر.

إن اللغة متعددة المعاني وكثيرة المترادفات. وبالتالي فعلى الباحث أن يدرك ذلك حتى لا يقع في أخطاء. لأن عدم استخدام لغة مدققة قد يفسد المعنى الكامل للمفهوم وقد يترتب عنه جدال وصراع بين الباحثين.

إن اللغة السليمة تلعب دوراً كبيراً في صياغة الإشكالية وتوضيحها فالطالب حين يكتب بحثه لا يكتبه لنفسه بل يكتبه لأناس يتمتعون بقوة عقلية تعرف العلل والأسباب العلمية واللغوية تؤهلهم لانتقاد لغة البحث، وخصوصاً إذا لم يتمكن الطالب من التعبير الواضح عن أفكاره.

إن معرفة قواعد اللغة من نحو وصرف واشتقاق وقياس وتركيب إلى آخر ذلك كلها عمليات ضرورية للطالب لأن ذلك يحفظ اللسان والقلم من الأخطاء.

إن بعض الطلبة في جامعتنا تقريباً كأنهم أعاجم لا يعرفون قواعد اللغة فكثيراً من الفقرات في الإشكالية وفي البحث التي يكتبونها تنقلب إلى ضد ما يقولون ويقصدون، وهذا جهل بوظيفة الكلمة ودورها في الفقرة.

كما يوجد بعض الطلبة للأسف يرتكبون أخطاء إملائية يتعذرون بأعذار واهية. إن كل هذه الأشياء قد تؤدي إلى سوء الظن بالطالب وحرمانه من حقه في التقدير يوم المناقشة.

4- دور الذاكرة وتوظيفها:

لا شك أن أغلبية الطلبة يختزنون ذخيرة علمية في مجالات مختلفة وذلك من خلال المراحل الدراسية.

إن الذاكرة القوية تعطي دفعا قويا إلى الأمام بالنسبة للباحث. فقدوته على استرجاع التحصيل العلمي السابق سواء في الجامعة أو قلها أو من خلال التمرينات والمكتقيات التي حضرها أو من خلال كتب قرأها أو دروس أو نصائح سمعها في الماضي إلى آخر ذلك... لذلك وجب على الطالب أن يتذكر ليوظف هذه المعرفة المخزونة مع الخبرة لأن الوقت حان لتوظيفها.

5- ضرورة الإهتمام بالمسودات أو البطاقات وحفظها وعدم إهمالها:

إن آفة العلم النسيان لذلك ينصح العلماء الطلاب الباحثين أن يستعملوا بطاقات أو مسودات لمواضيعهم. أنه جرت العادة قبل كتابة أي شيء في صورته النهائية، أن يعمل مسودة لأن ذلك يقدم مساعدة كبيرة.

إن المسودة هي عبارة عن خلاصة لتلخيصات للكتب والمجلات وبالتالي تحتفظ بشروة ثقافية علمية ولغوية تؤهل لكتابة مواضيع أخرى حتى في المستقبل إذ أريد ذلك. ففي حالة وقوع حادث ما -لا قدر الله- لسبب من الأسباب قد يصبح الباحث في أشد الحاجة إلى تلك المسودات لبيست مضبوطة للوقت ولا للجهد كما يظن البعض، لذلك نجد العلماء الباحثين ذوي التجربة الطويلة يحرصون عليها كثيرا.

6- مراعاة الوقت المحدد للمذكرة واستغلاله الإستغلال الأمثل:

إن الوقت المحدد لإنجاز المذكرة يعتبر عامل ضغط نفسي على الطالب وعلى المشرف. فالمذكرة يمكن تصنيفها من ضمن البحوث القصيرة المدى التي تستغرق تقريبا سنة.

- فإن لم يقسم الطالب هذا الزمن ولا يحاول إستغلاله وفق برنامج زمني محدد حسب مراحل البحث فقد لا ينجز بحثه أبدا. هناك مراحل عدة للبحث :

- مرحلة الشتاء في البحث : تعني أن الطالب يعيش في المناخ العلمي. بعض الأيام ينشرح، وتبرز له بعض الأفكار، وفي بعض الأيام يكتب ويعيش متفوق نفسيا نتيجة برودة الأعصاب.

- مرحلة الربيع في البحث : ففي الربيع تتفتح الأزهار والأفكار تنمو وتتطور الأفكار بسرعة يوما بعد يوم.

- مرحلة الصيف في البحث : ففي الصيف تنضج الثمار وتقطف وكذلك في البحث تنضج الأفكار وتقطف النتيجة وهو التتويج بالنجاح.

والمهم في هذه الإشارة هو أن على كل باحث أن يقسم الزمن بدقة:

• جزء للقراءة والتوثيق

• جزء للصياغة والكتابة

• جزء لجمع المعلومات من الميدان

• جزء للطباعة والتصحيح.

وهكذا تكون السنة قد انتهت والقليل يلتزم بذلك ويوفق في إنهاء عمله.

ثانيا : ملاحظات حول تحديد الإشكالية وحصرها

في الحقيقة أن تحديد الإشكالية يعتبر من أهم عناصر البحث، ذلك على الطالب أن يضع كل اهتمامه بهذا العمل، لإبرار حقيقة همومه الفعلية للمشكلة.

إشكالية لها إجراءاتها ودلالاتها.

فعلى كل باحث إن يصنف إشكاليته لأنها هناك عدة أنواع

1- الإشكالية من النوع النظري

2- الإشكالية من النوع الإمبريقي

3- الإشكالية من نوع الدراسات الاستكشافية

4- الإشكالية من نوع الدراسات الوصفية التشخيصية التحليلية.

من هنا وجب على الطالب منذ البداية أن يميز بين هذه الإشكالية وتلك فإذا لم يستطع التمييز فإنه يقع مباشرة في التناقض والإرتجال وعدم الاستعاب للمشكلة.

إن غاية تحديد المشكلة هو الفهم الواضح فبدون فهم الإشكالية لا يمكن فهم حدودها.

ففي الإمتحان مثلا فبدون فهم السؤال لا تكون الإجابة صحيحة، لذلك فالمطلوب أن يقرأ السؤال عدة مرات حتى يتمكن من فرز أفكاره حسب النظرية التكاملية للإشكالية من المؤشرات والمتغيرات والواحدات التي تتألف منها الإشكالية.

من ذلك يستطيع الطالب أو الباحث أن يعرف بالضبط وبالتحديد ماذا يريد أن يبحث ولماذا يبحث. أي أن الإشكالية توجد بين نقطة البداية ونقطة الوصول بين التنتين محتوى يجب أن يرتب ترتيبا منطقيا يبعد الخلل والزلل.

إن ترتيب الأفكار عملية أساسية في تحديد الإشكالية فالإشكالية بمثابة العمود الفقري كما يقال، فالإعوجاج فيه ينعكس على حساسية صلب الموضوع.

إن أهم شيء في تحديد الإشكالية ليس عرض الفكرة فقط ولو بأسلوب ركيك. بل إن أهميتها تكمن في مدى تسلسل الأفكار وترتيبها ترتيبا منظما متناسقا في إطار عملية ترابط الأفكار، دون تقديم فكرة كان من المفروض أن تكون في المؤخرة أو العكس. فالخلل في التقديم أو التأخير يشوه الإشكالية وكذا أسلوب الباحث في الكتابة يفيد تحديد الإشكالية أو يضرها.

ومهما يكن فإن على الباحث في تحديد الإشكالية أن يلتزم بعدة قضايا منها:

1- عزل الأفكار المشكلة للبحث المدروس وبأسلوب واضح. أي نقل ما في فكر الباحث وما يشعر به من الأحاسيس إلى الآخرين.

2- تحديد الأبعاد الحقيقية للمشكلة المدروسة لأنها تحدد ساحة الرؤية وأطراف الإشكالية ثم تحليلها.

3- توضيح المقالات والعبارات السوسولوجية توضيحا كاملا. وتحويل الموقف الغامض إلى موقف مفهوم مستعملا كلمات وألفاظا إستعمالا سليما.

4- إبراز العلاقة القائمة بين المتغيرات والإشكالية، المتغير المستقل والمتغير التابع والمتغير السببي إن وجد.

5- الابتعاد عن التناقض والتضارب في الآراء داخل الإشكالية الواحدة.

وبعد عرض هذه القضايا قد يطرح السؤال على مباشرة في شكل: كيف تكتب تحديد الإشكالية إذن؟

في الحقيقة لا توجد طريقة واحدة لكتابة الإشكالية. بل لكل طالب أو باحث الحق في أن يصوغ إشكاليته على الصورة التي يراها ملائمة شريطة أن يلتزم بتلك القضايا التي ذكرناها.

- فالبعض يفضل تحديد الإشكالية عن طريق صيغة التساؤلات.

هذه التساؤلات تحيط بعدد كبير من المتغيرات الملائمة لإشكالية البحث.

- والبعض يذهب إلى طريقة عرض وفحص الإشكالية وتحليلها تحليللا مترابطا في أسلوب إنشائي مركز ومتبلور، معبرا عن وجود مشكلة بعينها لها دلالتها، تاركا فكرة التساؤلات.

وخلاصة القول أنه لا بد أن تكون الإشكالية المحددة ملائمة فعلاً لملاءمة عملية لعنوان البحث المختار، أن تكون مفهومة مع الإبتعاد على حشو المفاهيم، وإدخال كلمات وجمل إعتراضية قد توقع الطالب في مزالق الخطأ. كما أنه من الضروري مراجعة الإشكالية قبل الإخراج وبعد الإخراج المطبعي، لأن الإخراج قد يجعل النص فاسد عسير القراءة. أن هناك ملاحظة أود الإشارة إليها وهي إلزامية البقاء والتجاوب مع الموضوع أي مع تحديد الإشكالية ووضعها دائماً أمام نصب عينك في كامل خطوات البحث. لأننا لاحظنا هناك من يتناقض مع إشكالية في الخطوات اللاحقة من بحثه ولا يعيش في حدود موضوعه منذ البداية إلى النهاية.

ثالثاً: ملاحظات حول صياغة الفروض

إن البحث العلمي مرتبط بالفروض، وبدون الفروض لا يمكن التحدث عن شيء اسمه البحث. فبواسطة الفروض ترتقي الدراسة إلى مستوى البحث، فالفروض هي المحركة المبدئية في رحلة البحث.

إن امكانية صياغة الفروض تشكل في أغلب الأحوال ثلث عمل البحث تقريباً فهي حلقة وترجمة بين العمل الميداني. فالإستهانة بها تؤثر على نجاح البحث.

إن الصعوبة الكبرى في هذا تكمن في كيفية استنتاج الباحث للفروض وكيفية صياغتها صياغة ملائمة للإشكالية. لأن الفرض بغض النظر عن تعريفاته المختلفة (2)، فهو العبارة عن العقد المبرم بين الطرفين أو هو العقد الذي يعقده الباحث مع نفسه بعد اعتراف ذاتي صريح.

إذن الفرض لا يفرض على الباحث فرضاً خارجياً. بل يأتي نتيجة جهد فكري معمق ومبلور ملائم ومنسجم للإشكالية المدروسة.

فالفروض لا تأتي من الفراغ، بل هي صور فكرية في الذهن تقترب من وصف الواقع الاجتماعي.

أما الغاية منها فتمكن في كشف الحقيقة القائمة والموجودة بين موقفين أو أكثر. أو بين المتغيرات المتداخلة في الإشكالية، بين المتغير المستقل، والمتغير التابع، والمتغير السببي أو الدخيل، لأن هناك متغيرات قد لا ترى بشكل مباشر. قد تصل إلى درجة التكهن بالمستقبل وتعميقها.

والمهم هو أن تشمل الفروض جميع مؤشرات الدراسة دون التركيز على البعض وإهمال البعض كما يفعل بعض الطلبة.

• كيفية اختبار الفروض وتقويمها

إن الفروض التي صاغها الباحث في مرحلة ما من خطوات البحث تخضع للاختيار الإمبريقي. ومن ثم فإن لكل فرض معنى ينطوي عليه معاني ودلالات يشير إليها شريطة ألا تتعارض وتتناقض هذه المعاني وتلك الدلالات من الناحية المنطقية على الأقل على الصعيد النظري.

فإذا كانت متناقضة ومتعارضة، فإنها تنعكس سلباً على النتائج والخطوات الأخرى:

- فهل الفروض المقترحة لها قابلية إجرائية وواقعية للاختبار فعلاً.
- هل هذه الفروض المختبرة تؤدي إلى تحديد الإشكالية كما هي. أم أنها تصادم معها تمام. الإشكالية في واد والفروض في واد؟
- هل هذه الفروض استطاعت فعلاً كشف الحقيقة بعد اختبارها أي هل حققت نتائج.
- هل هذه الفروض وضعت درجة الارتباط بين المتغيرات و بينها وبين أبعادها.
- هل صورت الواقع الاجتماعي وفقاً للأهداف المرسومة للبحث أي على العمق اللب. وهل نستطيع البرهنة عليها ومقارنتها كل فرض على حدة.
- هل يمكن تعميمها أم لا؟
- هل هذه الفروض صائبة بطريقة قياسية؟ أم لا بواسطة النتائج والحقائق؟ وهل الحقائق داخلية أم خارجية؟
- هل يمكن أن تتحقق الفروض دفعة واحدة كما يدعي بعض الطلبة؟
- وهل توجد فروض فاسدة وفروض جيدة؟
- وهل لا توجد بعض الإضطرابات في فهم معنى الفرض؟
- هل كل الفروض تقبل التمهيص وتقبل المطابقة؟
- هل تحقيق الفروض مرتبط بزمان البحث أم بمجال العينة لأنه قد يوجد متغير خفي يهدم الفرض، ومن يجب الإهتمام به في المستقبل؟
- هل الفروض لا تتأثر بمستوى الباحث وموضوعيته. وهل الباحث وقف موقفاً سلبياً من الظاهرة أم موقف إيجابي من الظاهرة وهل لا ينعكس ذلك على الفروض؟
- هل يمكن تعديل الفروض؟ متى يكون ذلك من مراحل البحث؟

- هل يمكن أن يكتفي البحث بفرض واحد أم لابد من تعدد الفروض؟
إن كل هذه التساؤلات وغيرها يمكن أن تكون محاور لمداخلات أخرى في المستقبل إن شاء الله.

المراجع

- (1) أحمد شلبي : كيف تكتب بحث ورسالة ماجستير أو دكتوراه... دار المعارف مصر الطبعة التاسعة سنة 1967 ص ص 85 ... 104
- (2) محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث العلمي، دار المعارف، مصر ط 6 سنة 1975 ص ص 135-178
- (3) علي عبد المعطى محمد : رؤية معاصرة في علم المناهج، دار المعرفة، الجامعة مصر سنة 1984 ص ص 277-293